تراث سامراء

مجلة علمية محكمة نصف سنوية تعنى بدراسة
تراث سامراء المشرفة

تصدر عن

العتبة العسكرية المقدسة

مركز تراث سامراء

العدد الثالث- السنة الثانية
(٢٠٢١م - ١٤٤٢هـ)

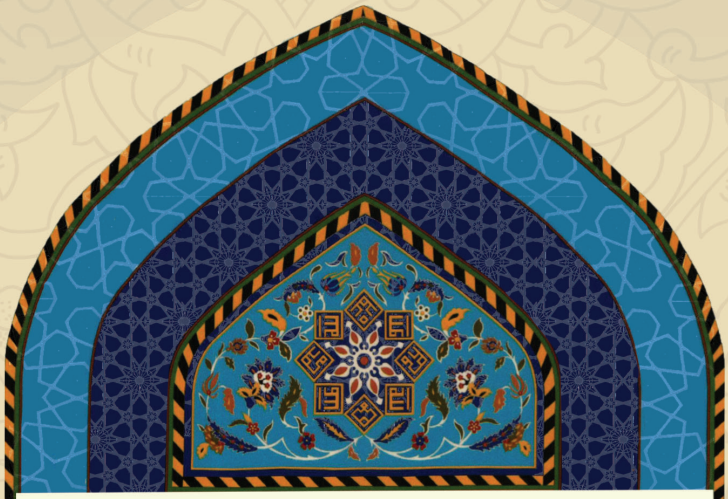

تل العليج في سامراء
وحرق جثمان الامبراطور جوليان (٣٦٣) ميلادي

Tell Al-A'ilij in Samarra and Cremation of Emperor Julian's Body (363 A.C)

أ.د. صلاح رشيد عطاء الصالحي

جامعة بغداد

مركز أحياء التراث العلمي العربي

Prof. Dr. Salah Rasheed Ata' Al-Salihy

University of Baghdad

Revival of Arab Scientific Heritage Centre

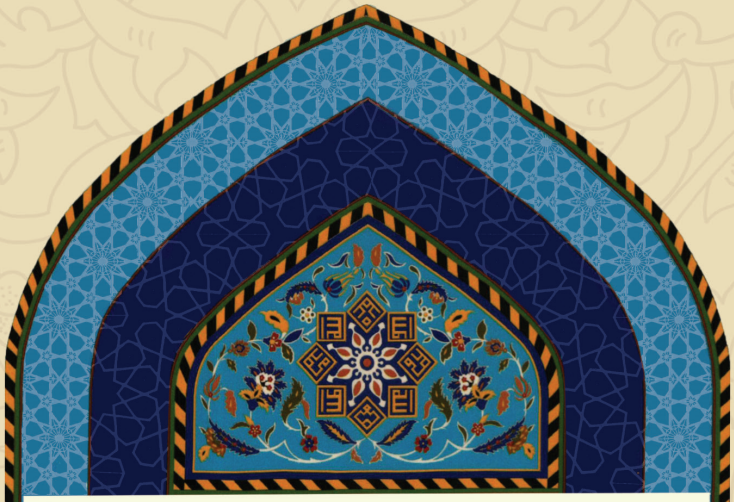

تل العليج في سامراء
وحرق جثمان الامبراطور جوليان (٣٦٣) م

الملخص:

تعتبر سامراء مدينة عريقة بتاريخها القديم والإسلامي، وهي بحدّ ذاتها مدينة مقدسة فيها مراقد الأئمةعليهم السلام، وكانت معروفة منذ العصر الحجري المعدني، وأثبتت التنقيبات الأثرية قدمها ليس فقط من حيث اللقى الأثرية التي عثر عليها في تل الصوان والمواقع الأثرية الأخر، إنما حتى اسمها فقد ورد في النصوص الآشورية باسم سُرَماراتِ (URU Su-ur-mar-ra-a-te) وفي مواضع أخر باسم سُموريم (Summurim) أو اسم سُرماتا (Su-ur-ma-ta)، وهي قريبة جداً من اسم سامراء، وفي حملة جوليان المرتد التي أدت إلى مقتله فقد ذكرت باسم سومير (Sumere)، وهو الآخر يشبه اسم سامراء المتداول الآن، ولم تكن منطقة سامراء معروفة لدى الكتاب الرومان، فقد عرفوا طريق الفرات أكثر بكثير من طريق نهر دجلة، ولكن شاءت الصدف أن يكون انسحاب الامبراطور جوليان شمالاً عبر سامراء فدفع حياته ثمناً أمام هجمات الجيش الساساني، وبذلك دخلت سامراء في كتب الرومان من جهة إضافة إلى تاريخها الإسلامي العريق من جهة أخر.

الكلمات المفتاحية:

سامراء، الامبراطور جوليان، تل العليج، المعاهدة والانسحاب.

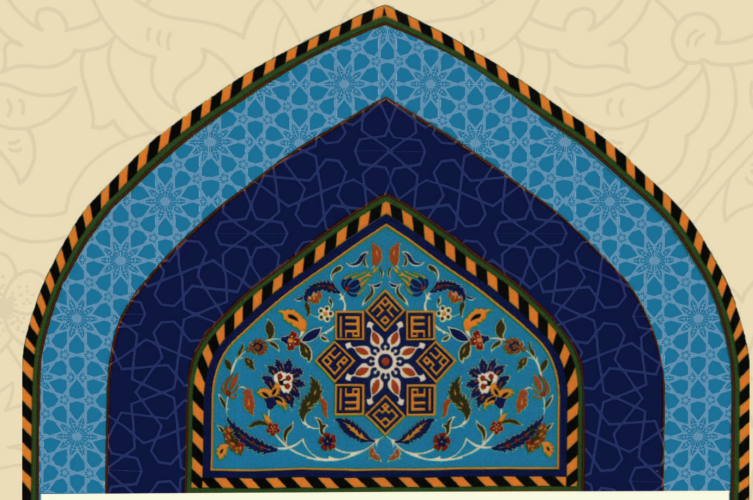

Tell Al-A'ilij in Samarra and Cremation of Emperor Julian's Body (363 A.C)

Abstract:

Samarra is an ancient city in its ancient history and Islamic one, and is a holy place where imams' shrines (PBUT) are there. sacred city. It has Imams garages, and it is known since the metallic Stone Age. The Archeological excavations have proved its long history not only in terms of archeological remains found in Tel Al-swan and other sites. But its named was inscriped in Assyrian texts in the name of (URU Su-ur-mar-ra-a-te) elsewhere called (Smmurim) or (Su-ur-ma-ta), which is very close to Samarra›s name. During Julian's the apostate campaign where killed in, it was called (Sumere), which is similar to Samarra›s present name. Roman writers have no idea about Samarra because they were familiar with the Euphrates way more than Tigiris. But Samarra became Emperor Julian's way of withdrawal, where he was killed in combat with the Sasanian army. Therefore, Samarra entered the Roman books in addition to its ancient Islamic history.

key words:

Samarra, Emperor Julian, Tell Al-A'ilij, agreement and Withdrawal.

المقدمة

إن سامراء مدينة عراقية تاريخية تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة في محافظة صلاح الدين، وتبعد (١٢٥) كيلومترا شمال العاصمة بغداد، تحدّها من الشمال مدينة تكريت، ومن الغرب الرمادي، ومن الشرق بعقوبة، وقد ضمّت منظمة اليونسكو مدينة سامراء عام ٢٠٠٧ إلى قائمة التراث العالمي.

كانت سامراء رمزاً عظيماً للحضارة الإسلامية، ولا سيما فترة الخلافة العباسية عندما كانت الخلافة واحدة من أقوى الإمبراطوريات في العالم، وفيها مرقد الأئمة علي الهادي والحسن العسكري عليهما السلام، صحيح أن سامراء حصلت على هذا الوضع الديني الإسلامي إلى حدّ ما وفاقت العاصمة بغداد التي لم يبق أي من الهندسة المعمارية لبغداد عند تأسيسها عام (١٤٥) هجرية، ومع ذلك، هناك عظمة للهندسة المعمارية والتخطيط في سامراء والذي لا يتكرر في أي مكان آخر، وتستحق سامراء دراسات قيمة باعتبارها واحدة من أكبر المعالم الأثرية في العالم ذات الأهمية لتاريخ البشرية، ومع هذا بقيت شهرة المدينة أقل مما كان يجب أن تحصل عليه.

ولا يقتصر وجود المدينة على العمارة من العصر الإسلامي، إنما تاريخها يضرب جذوره عميقاً منذ فترة القرى الزراعية الأولى التي كان العراق مسرحاً للنشاط الزراعي، وقد عرف تلك الثقافة باسم دور سامراء، ويعود إلى (٥٤٠٠ ق.م)، كما ورد ذكر سامراء في النصوص الآشورية والبابلية مع اختلاف في اللفظ لكنه مع ذلك قريب من لفظ سامراء المعروف حالياً، كما إن موقع سامراء على نهر دجلة جعلها طريقاً بين بابل وآشور من جهة وبين العراق وسوريا عن طريق الموصل من جهة أخرى، فهي حلقة وصل بين الشمال والجنوب في بلاد الرافدين.

عملت المديرية العامة للآثار في العراق في ميدان التنقيب الأثري منذ عام (١٩٣٦)، وتوجت أهم المكتشفات الأثرية في تل الصوان الذي غير الكثير من مفاهيمنا القديمة على عراقة منطقة سامراء، منذ العصر الحجري المعدني حيث عثر في موقع تل الصوان الغني باللقى الأثرية، على الأدلة حول هندسة الري، وزراعة الكتان، ويثبت هذا ثقافة استيطان مزدهرة مع بنية اجتماعية منظمة للغاية.

أجري المسح الأثري لمنطقة سامراء

مجلة تراث سامراء
العدد: الثالث
السنة: الثانية
١٤٤٢هـ/٢٠٢١م

عام (١٩٨٣)، وكان هدف المسح الأثري تسجيل جميع البقايا الأثرية الموجودة في المنطقة سواء كانت قصوراً عباسية أم مواقع المساجد والمباني الأثرية والخرائب، وأجري ترقيم جميع المواقع الأثرية والمباني التي ما زالت بقاياها شاخصة أو المباني المدمرة التي بقي منها الأسس فقط، وكانت حصيلة تلك المواقع والآثار ما مجموعه (٦٩٠٨) مواقع أثرية، وتم استخدام الترقيم لتحديد كل موقع، وفي بعض الحالات يكون المبنى معروفاً باسمه أكثر من الرقم، ومع ذلك، فإن عدد الآثار أو المباني التي تم تحديدها صغير.

هذا البحث يطرح فكرتين، أحداهما عراقة منطقة سامراء منذ أقدم العصور التاريخية على ضوء التنقيبات الأثرية، والحالة الثانية مقتل الامبراطور جوليان المرتد (٣٦٣) ميلادي عندما أراد أن يغزو بلاد الرافدين كما فعل من قبل قياصرة وأباطرة روما، ولكن لسوء حظ الامبراطور فإنه قتل في سامراء وتم إحراق جثته في موقع تل العليج، وبذلك تعرف الكتبة الرومان على موقع سامراء من خلال هذه الحادثة بعد أن كان الموقع مجهولاً تماماً في التاريخ الأوربي، ومنذ القرنين الرابع والخامس الميلادي وإلى الآن تصدر دراسات علمية تاريخية تفسر وتعطي أسباب تلك الحادثة المأساوية، ولهذا بدأ البحث من القرن التاسع عشر عندما أشرت إلى أول المغامرين الأوربيين الذي قدم وصفاً لمدينة سامراء وملويتها الشامخة ثم تطرقت لعمق المنطقة تاريخياً ومن بعدها أشرت إلى مقتل الامبراطور جوليان كما سياتي تباعاً.

المبحث الأول

أولاً: لمحة تعريفية عن تل العليج

يقع تل العليق إلى الشمال من مئذنة الملوية، وهو تل أصطناعي على شكل مخروط مقطوع الرأس يقوم وسط السهل المحيط ويرتفع عنه (٢٥م)، وقطره (٢٠٠م)، ويحيط به خندق، ثم يلي الخندق سور مستدير قطره (٤٥٠م)، وفوقه قنطرة للعبور[١].

ويقال في أصله وتكوينه أن الخليفة المتوكل رغب أن يظهر كثرة جنوده للملأ فأمر كل فارس من فرسان جيشه أن يملأ عليقه بالتراب ثم يرميه هناك فتكون التل الذي سماه بعض الباحثين والمؤرخين بتل

---

(١) ينظر: الآلوسي، سالم، موجز دليل أثار سامراء، ص٨.
Beckford, William: (1927). P. 199-211.

المخالي؛ لهذا السبب[١].

وهو يعرف عند أهالي المنطقة بتل العليج، ومن المحتمل أنه كان الموضع الذي يتفرج من فوقه الخليفة مع حاشيته على سباقات الخيول، ويرى في أطراف تل العليق معالم ثلاث ساحات للفروسية (حلبات السباق)، ويذكر أن هرتسفيلد قد فحص هذا التل، فبان له أنه بناية صغيرة مربعة الشكل تشتمل على تسع غرف أحداها في الوسط كانت فوق قمته[٢].

ثانياً: سامراء في القرن التاسع عشر

زارها الرحالة والباحثون منذ القرن التاسع عشر وقدموا أوصاف المناطق الأثرية القديمة والآثار الإسلامية، تناولت مذكرات النقيب البحري البريطاني جيمس فيليكس جونز (James Felix Jones) (١٨١٣-١٨٧٨م) وصف رحلته على متن قارب بخاري إلى شمال بغداد وذلك في شهر نيسان١٨٤٦[٣]، وكتب ملحوظات مختلفة ذات أهمية في تلك الفترة والتي شاهدها في الطريق، وكان هدف الرحلة تحديد مسار قناة النهروان القديمة التي أنشئت فيما بعد عام (١٨٤٨م)، وذكر أن سامراء تقع شمال بغداد، وانتبه فور وصوله إلى البرج الغريب اللولبي المعروف باسم الملوية، وأجرى قياساته فتأكد له أن ارتفاعها (١٦٣) قدم، وأشار إلى وجود أكوام من الحجارة والفخار المزجج والقطع الزجاجية بالقرب من الملوية، كما لاحظ من قمة الملوية وجود أبنية قديمة كانت مراكز مهمة وإن ريّها يتم بواسطة نفق تحت الأرض، إضافة إلى القنوات أو الكهاريز (Khairees) لنقل المياه من الآبار، ثم قدم وصفاً للقصر أو ما بقي منه، ويعود للخليفة المعتصم بالله العباسي (ثامن خلفاء بني عباس)، وأشار إلى مساحته الكبيرة وقاعاته المقببة، وتطرق إلى قصر الخليفة الواثق وارتباطه بقصة واثق (Vathek) الأوربية (حرف (V) بالألمانية ينطق بالعربي حرف (و) ..)[٤].

(١) ينظر: الاربلي، عبد الرحمن، خلاصة الذهب المسبوك، ص١٦٢.
Beckford, William: (1927). P. 199-211.

(٢) ينظر: فرنسيس، بشير، علي، محمود، جامع أبي دلف في سامراء، ج١، ص١١.
Beckford, William: (1927). P. 199-211.

(3) James Felix Jones: (1857). p. 12-15.

(٤) كتب الروائي (William Beckford) رواية واثق (Vathek) باللغة الفرنسية في عام (١٧٨٢)، عندما كان عمره ٢١ عاماً، وذكر الكاتب بان قصته مستوحاة من الشرق وأرفق رسوماً تصور حياة المجتمع الشرقي، وكانت القصة الدافع لحركة الاستشراق، ولكن في

خريطة ١: تمثل سامراء في منتصف القرن التاسع عشر، ويظهر موقع تل العليج شمال مدينة سامراء (عن James Felix Jones ص١٢)

الحقيقة هي رواية من الأدب القوطي القديم الذي يعتمد على الخوارق والأشباح والأرواح والرعب، وشخصية القصة مستوحاة من الخليفة الواثق ابن المعتصم الخليفة العباسي الذي حكم في (٨٤٢-٨٤٧) م (٢٢٧-٢٣٢) هـ، والذي وصف بأن لديه رغبة كبيرة للمعرفة، وأصبح راعياً للعلماء والفنانين خلال فترة حكمه، وفي عهده اندلعت عدد من الثورات تمكن من قمعهم، وقد توفي الواثق بسبب الحمى في ١٠ آب من عام (٨٤٧) ينظر:

Beckford, William: (1927). P. 199-211

على أية حال استمرت رحلته إلى الحدود بين الدولة العثمانية التي كانت تحكم العراق آنذاك وبلاد فارس عبر جزء من شمال العراق، كما تتبع مسيرة القائد والمؤرخ زينفون (Xenophon) عام (٤٠١) ق.م بالقرب من مدينة قديمة (بالأكدية URU-ul-li-a^{ki}) تقع شمال غرب بابل قريبة من نهر الفرات[١] خلال انسحابه على طول المسار القديم لنهر دجلة وعرفت باسم (حملة العشرة الاف)[٢]،

(١) لم يقابل جيش كورش الأصغر عند وصوله بابل إلا بعض الفرسان كما لم يجد أي شيء يدل على وجود جيش فارسي، واتضح أن جواسيسه وعيونه لم يقوموا بواجبهم في تتبع أثر العدو، واعتقد خطأ بأن أخاه ارتا كزركزس الثاني الملك الاخميني انسحب إلى هضاب إقليم فارس، ولكن حسابات كورش الأصغر كانت سيئة جداً كلفته حياته وتشتت قواته: الصالحي، صلاح رشيد، بلاد الرافدين دراسة في تاريخ وحضارة العراق القديم، ص ٢٨٧ هامش ١٠١٥ .

(٢) انتهت معركة كونسكا (Cunaxa) عام (٤٠١) ق.م بمقتل كورش الأصغر وانتصار أخيه ارتاكزركزس الملك الاخميني (٤٠٤-٣٥٩) ق.م وانسحاب المرتزقة اليونانيين بقيادة اكسنفون الذي قدم وصفاً شيقاً عن سير الحملة وانسحاب المرتزقة اليونانيين على طول نهر دجلة في كتاب (حملة العشرة الاف) أو ما يعرف باسم (Anabasis): حسن، سليم، مصر القديمة من العهد الفارسي القديم إلى دخول الاسكندر

كما حدد موقع مدينة أوبس القديمة (Opis) بالأكدية (URU. pi-iú-Ap-šu URU.) (تل المجيلعات) شمال بغداد على الضفة الشرقية لنهر دجلة[١]، وتحدث عن بغداد ووضع لها خريطة، كذلك خرائط لنينوى وسامراء ...الخ[٢] (خريطة ١)، وقد جمعت مذكراته ونشرت من قبل (Thomas R. Hughes) في بومبي في الهند[٣].

ثالثاً: تاريخ سامراء القديم

إن أقدم استيطان بشري معروف لحد الآن في سامراء يعود لثقافة العصر الحجري ـ المعدني، ويعرف باسم دور سامراء الذي تلا دور حسونة قرب نهاية الألفية السابعة ق.م، وأطلق عليها هذا الاسم أول مرة الاثاري (Herzfeld)[٤]، وتنتشر ثقافة سامراء على نطاق واسع في وسط العراق بينما في سامراء[٥] هناك

الكبير، ص٦٨٣-٦٨٦.

(١) الأحمد، سامي سعيد، و (آخرون)، الصراع خلال الألف الأول قبل الميلاد، ص٨٠، وينظر: سعيد، مؤيد و (آخرون)، العراق خلال عصور الاحتلال، ص ٢٣٧.

(2) James Felix Jones: (1857). pl. 12

(٣) ترجمت مذكرات (James Felix Jones) إلى اللغة العربية من قبل الأستاذ عبد الهادي فنجان الساعدي باسم (بغداد في منتصف القرن التاسع عشر).

(٤) عثر تحت الطبقة الإسلامية على مخلفات من الفخار الملون المصنوع باليد وبدقة واحتراف وذات صناعة جيدة وذات أشكال وزخارف جميلة ومصقولة وكانت ذات ألوان متعددة أما الزخارف فكانت أشكالاً هندسية ورسوم أسماك أو عقارب أو طيور أو غزلان وبعض الأشكال الآدمية، وفي بعض الأحيان يحاول الفنان العراقي القديم تمثيل الحركة من جهة وتحسين التقنية الحرفية من جهة أخرى، وغدت الأواني الفخارية غنية بالزخارف إلى درجة انها أصبحت من أدوات الترف فما أن ينتهي الفخار من صنع أداته حتى يسلمها إلى المزخرف، وقد أطلق على الفخاريات المكتشفة تسمية فخار دور سامراء وقدر تاريخها (٤٥٠٠) ق.م: ينظر: بارو، اندري، سومر فنونها وحضارتها، ص ٩٢، وينظر: لويد، سيتون، آثار بلاد الرافدين، ص٨٤ .

Mark Blackham: (1996). P.1–15 Ernst Herzfeld: (1930). p. 1.

(٥) اعتقد سابقاً أن المدينة نشأت في عهد الخليفة المعتصم بالله العباسي وأن اسم سامراء أخذ من العبارة (سر من رأى)، على أن التنقيبات الأثرية قدمت إشارات على وجود مستوطنات وقرى قديمة قامت في موضع سامراء، يرجع بعضها إلى أدوار ما قبل التاريخ مثل تل الصوان، والاصطبلات وغيرها، وحتى إن فخاراً مميزاً سمي باسمه أحد أدوار عصور ما قبل التاريخ، والمرجح أن اسم سامراء مشتق من مستوطن قديم عرف بالنصوص البابلية والآشورية باسم

موقعان: في مقبرة الأطواء (al-Laṭwa)، والموقع الثاني في تل الصوان (Tell al-Suwwan)[١]، وتقع مقبرة الاطواء (al-Laṭwa) تحت القصر العباسي غربي الجامع وعلى حافة السهل الفيضي حيث نقب فيه سابقاً (Herzfeld) في عام (١٩١١)، وكانت هناك كمية كبيرة من الفخار المطلي المصاحب لتل الصوان[٢] كما نقبت في الموقع بعثة عراقية من مديرية الآثار العامة عام (١٩٦٠)[٣]، ويقع الموقع على جرف عال من ضفة نهر دجلة وإلى جنوب قصر بالكوارا (Balkuwārā) وأعطى كاربون ١٤ المشع تاريخ (٦٣٠٠) ق.م، ويضم الموقع عدداً من المنازل تضم غرفاً صغيرة للغاية، والمنازل محاطة بسور مغلق مع خندق، ولكن في المراحل اللاحقة كان السور مهجوراً، كما عثر على تماثيل من المرمر ورسوم على الفخار، وهكذا فإن هذين الموقعين فقط تم تحديد دور سامراء، ويظهر أن مسيرة نهر دجلة قد تغير منذ فترة

سُموريم (Summurim) أو اسم سُرماتا (Su-ur-ma-ta): باقر، طه، من تراثنا اللغوي القديم، ص ١٦٨-١٦٩.

(1) Behnam Abu.l-Soof and Faisal el-Wailly: (1965). P.17-32.

(2) Behnam Abu. l-Soof: (1968). P. 3-16.

(3) Alastair Northedge: (2008). p. 43.

تل الصوان وأصبح حالياً بعيداً عنها وكان سكان تل الصوان من المزارعين الذين استغلوا السهل الفيضي عند سفح الجرف.

بعد دور سامراء لا نملك دليلاً آخر عن الاستيطان المبكر حتى نهاية الألفية الثالثة ق.م حيث عثر على خمسة مواقع يتميز فخارها بأنه صنع بعجلة الفخر، فالسطح ذو لون برتقالي، وهو يشبه لحد ما فخار موقع أبو صلابيخ (Abu Sala-bikh) وما يشابهه في موقع نيبور (Nip-pur) وخاصة في منطقة ديالى[٤]، وفي شمال سامراء الموقع (B1)، وهو موقع أثري بهيئة تل مساحته (١٧٣×١٣١)م ويقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة على بعد (٣) كم شمال غرب مسجد أبي دلف (Dulaf)، والموقع (S8) وهو موقع استيطاني صغير شرق نهر الرصاصي (al-Raṣāṣīi) في منطقة السهوب، وموقع تل نازوز (Nazūz)، وهو تل يطل على الضفة الشرقية لنهر دجلة في الجبيرية (Jubayriyya)، وعلى الجانب الجنوبي من موقع المطيرا (al-Maṭira)[٥] على الضفة الغربية لنهر دجلة، ويقع

(4) Robin Falkner: (1983–1989). P. 121-147.

(5) Alastair Northedge: (2008). p. 43.

الموقع(M2)، والذي يطلق عليه تل الاصطبلات (Iṣṭablāt)، يقع تحت الجزء الشمالي من قصر الاصطبلات، وهو موقع كبير يبلغ طوله (٣٦١) م وعرضه (٦٠)م على حافة المنحدر نزولاً إلى السهل الفيضي، وهناك حوالي أربعة أمتار من الترسبات، وتحتها عثر على فخار يعود إلى الألفية الثالثة ق.م، من المحتمل إحدى شظايا الفخاريات المكتشفة تعود إلى دور سامراء[١].

يقع تل سعود (Sa'ūd) على مسافة (١٤٠٠م) إلى الجنوب الشرقي حيث بقايا مصطبة مربعة يبلغ ارتفاعها (٨١م) مع منحدرين في الغرب والشرق، يبلغ عرض كل منهما (٢٦م)[٢] وعلى الجانب الجنوبي من المصطبة توجد آثار غرف أقيمت حول فناء، من المحتمل أن يكون هذا معبداً من النوع المعروف في ديالى في الألفية الثالثة ق.م، وعلى الرغم من أنه ليس معبداً بيضاوي (oval) الشكل، كما هو الحال في موقع خفاجي (Khafajeh)، انما هو معبد لموقع اصطبلات(Iṣṭablāt)، وفي عام (١٩١٧ ـ ١٩١٨م) تم اكتشاف تمثال من المرمر من النوع السومري أثناء عمليات حفر الخنادق من قبل الجنود الهنود في تل اصطبلات[٣]، ومن المحتمل هذا التمثال جاء من المعبد في الموقع (M14)، وكذلك من المحتمل بانه جاء من موقع اصطبلات، ويعود إلى الألفية الثالثة ق.م، وهناك تمثال مشابه له يعود إلى الالفية الثالثة ق.م وهو حالياً من مقتنيات المتحف البريطاني، وذكر الاثاري (Reade) أنه يشبه التمثال الأول الذي شاهده (Rich) في الصنام (al-Ṣanam) على الجانب الآخر من نهر دجلة، عموما بقي زوج واحد فقط من أرجل هذا التمثال، وتم تقييمه تاريخياً بأنه يعود للعهد الأكدي القديم، ربما عهد سرجون (٢٣٣٤-٢٢٧٩) ق.م ملك أكد، أو ابنه ريموش (٢٢٧٨-٢٢٧٠ ق.م)[٤]، ومن المحتمل هذا التمثال جاء أيضاً من موقع المعبد[٥]، يبدو ان هذا النشاط الفني يعود إلى نهاية الألفية الثالثة ق.م، وهو مرتبط بنشاط خارجي من منطقة ديالى في تلك الفترة.

هناك موقع واحد فقط فيه أثر

(1) Alastair Northedgeand Robin Falkner: (1987). P. 143.173.

(2) Alastair Northedge: (2008). p. 44.

(3) Ashmolean Museum: (1920). P.82–5.

(٤) الصالحي، المصدر السابق، ج١، ص١٤٩-١٥٢.

(5) Julian Reade: (1978). p. 180.

استيطان يعود إلى الألفية الثانية ق.م وهو موقع تل بونداريا (Bundarī)، ويتكون هذا الموقع من مربع مساحته (٧٥×٩٦م)، محاط بفتحة يبلغ عرضها (١٧م) تقريباً، وفي المركز هذا الموقع منطقة مرتفعة بطول (٥٠ م) تمثل منطقة السكن[١].

وفي الألفية الأولى ق.م، يوجد موقعان رئيسان: الأول تل محاجير (Muhayjīr)، ويقع على الضفة الغربية لنهر دجلة مقابل مدخل نهر الرصاصي (al-Raṣāṣī) والموقع الآخر الخويش (al-Ḫuwaysh)، ويقع الخويش على أطراف الجزيرة مقابل مدينة سامراء الحديثة، ولها مكونان[٢].

١-التل في وسط الموقع يكون بقياس (٣٠ × ١٠٠م) تقريباً، حيث عثر على قطع أثرية تعود للعصر الآشوري الحديث.

٢-حصن بقياس (٦٤٠×٢٦٥م)، وعلى الجانبين الجنوبي والغربي يتم الدفاع عن هذا الحصن بفتحة عرضها (٢٠-٣٠)[٣].

هذا الموقع مغطى الآن بقرية خويش (al-Ḫuwaysh) الحديثة، والجزء الوحيد الباقي من الموقع الآن هي أجزاء من التل بين المنازل والجزء من القسم الغربي من الحفرة، يبدو أن تاريخ الموقع يعود للعصر الآشوري الحديث، ولكن لم يعثر على فخاريات في الحصن، عموماً الحصن ليس إسلامياً، ولا يبدو أنه من العهد الفرثي أو الساساني، من ناحية أخرى، فإن التحصينات الآشورية الحديثة موجودة بالفعل على نهر الفرات ولا تختلف كثيراً عن حصن الخويش (al-Ḫuwaysh).

في نصوص العصر الآشوري الحديث بلدة تسمى سُرَماراتِ (Sur-marrate)، واعتقد بأنها سامراء، ويشير نص آشوربانيبال (Ashurbanipal) إلى أشخاص كانوا في بلدة سُرَماراتِ (Surmarrate)[٤]، وفي قائمة الجغرافية الآشورية فإن الاسم يكتب (URU Su-ur-mar-ra-a-te) والاسم على شكل

(١) للأسف لم يتم فهرست الفخار المكتشف من هذا الموقع بسبب حرب الخليج عام ١٩٩١، لذا يعتمد على تاريخ عند اكتشاف الفخار خلال التنقيبات الأثرية عام ١٩٨٩.

(2) Alastair Northedge: (2008). p. 44.

(3) Alastair Northedgeand Robin Falkner: (1987). Fig 9.

(4) Robert Francis Harper: (1892–1914). no. 944.

جمع مؤنث، وفي القائمة الاسماء الآشورية، فإن هذا الاسم يوضع بعد إكلاتو (Ekallatu)، وهي بلدة ليست بعيدة عن مدينة آشور (Assur)، ولكن موقعها الدقيق غير معروف، وقبل سُرَماراتِ تذكر مواقع ارتاخا (Artaḫa)، وحلاخو (Halakhu) ونحن نعرف أن أرتاخا (Artaḫa) هي ارابخا (Arraphe) (= كركوك)، بينما تقع حلاخو (Halakhu) شمال شرق نينوى على الأرجح بالقرب من خرسباد (Khorsabad)[١].

بالإضافة إلى المعلومات من النصوص، هناك لوحة في معرض (Walters) في بالتيمور (Baltimore)، يقال عثر عليها في قصر سنحاريب (Sennacherib) في نينوى، ويعود تاريخ اللوحة إلى عام (٦٩٠) ق.م، وتخلد ذكرى حملات سنحاريب وذكر إعادة بناء مدينة سُرَماراتِ (Surmarrate)[٢]، كما ورد في اللوحة:

(في ذلك الوقت، سُرَماراتِ (Sur-marrati)، وهي (مدينة) على ضفة نهر دجلة والتي هجرت منذ زمن بعيد، وأصبحت خرائب، وعندما توجهت لغزو عيلام والكلديين، وفي الطريق حملتي قضيت الليل فيها، في ذلك الوقت قررت إعادة بناء المدينة ووسعت موقع المدينة بشكل كبير، فتم إعادة بناء سورها وجعلته مثل الجبل، وبجانب الجدار وحوله حفرت خندق، كما زرعت بساتين النخيل والكروم وجعلتها خضراء..)[٣].

يطابق وصف سُرَماراتِ هنا بشكل دقيق مع موقع الحويش (al-Ḥu-waysh) الذي يقع على نهر دجلة على أحد الطرق المؤدية إلى عيلام والكلديين، وقد تم توسيع الموقع وشيد سور جديد وخندق، ووصف السور بأنه مرتفع مثل الجبل، ويطل على السهل الفيضي لدجلة، والممكن زراعة المروج باشجار النخيل والكروم في سهل الفيضي لنهر دجلة، علاوة على ذلك، فإن سامراء هي الحد الشمالي لزراعة النخيل على نهر دجلة، وبالتالي ما وصفه سنحاريب هي سُرَماراتِ[٤]، وهكذا حدد موقع سامراء إلى الجنوب، وأن الأسماء الجغرافية القديمة لسامراء انتقلت عبر نهر دجلة من الضفة

(1) Emilio O. Forrer: (1920). P. 52, 104.

(2) Kirk K. Grayson: (1963). P. 83-96.

(3) Alastair Northedge: (2008). p. 48.

(٤) من المحتمل هناك أكثر من سَرُماراتِ (Surmarrate).

الغربية إلى الضفة الشرقية المقابلة مباشرة، ربما هذه هجرة غير عادية إلى حد ما، وأعيد بناء المدينة في عهد سنحاريب مرة أخرى في الجهة المقابلة للمدينة القديمة.

في نهاية العصر الآشوري الحديث، لم يعد هناك حتى الآن دليل أثري للاستيطان حتى العصور الفرثية والساسانية، فلم يعثر على أدلة حتى الآن، ولم تستقر سامراء بشكل كبير، بل أصبحت ممراً بين آشور وبابل، وهذا الطريق استخدمته الجيوش الآشورية في غزو جنوب بلاد الرافدين، ثم فيما بعد المؤرخ والقائد اكسنفون (Xenophon) الاغريقي، والامبراطور جوليان (Julian) الروماني عندما كانا يتراجعان شمالاً.

رابعاً: سامراء في العصر الساساني والروماني

عرفت منطقة سامراء في عهد الفرس الساسانيين باسم (الطيرهان) وقصبتها الماحوزة، وفيها موضع قصر المتوكل الذي يدعى القصر الجعفري، وكذلك مدينة المتوكلية[1]، وقد حدث تطوران رئيسان في منطقة سامراء في الفترة الساسانية (٢٢٦-٦٣٧) م وهما:

١- ظهور عدد من المدن الصغيرة على الضفة الشرقية لنهر دجلة.

٢- حفر قنوات عند مدخل رافد القاطول الكسروي (Qāṭūl al-Kis-rawi) والقنوات المرتبطة به والذي يغذي قناة النهروان (Nahrawan) الذي يمتد على طول (٢٢٥كم) جنوباً على طول الضفة الشرقية لنهر دجلة[2].

ليس من المؤكد أن مواقع بلدة ما قبل الإسلام في منطقة سامراء بدأت فقط مع التطور في الفترة الساسانية، فقد يكون وجودها يعود إلى الفترة الفرثية (Par-thian)، أو حتى قبل ذلك، لكن الأدلة الأثرية ليست متاحة بعد.

أقدم مصدر تاريخي يعطينا وصفاً للمنطقة هو نص أميانوس مرسيلينوس (Ammianus Marcellinus) باسم (سومير)[3] وكان هذا المؤرخ قد رافق الامبراطور جوليان (فلافيوس كلوديوس جوليانوس أغسطس Flavius Claudius Julianus Augus-tus) (٣٦١-٣٦٣) م في حملته على بلاد

(1) Ernst Emil Herzfeld: (1923-1930). P 397-415.

(2) Alastair Northedge: (2008). p. 49.

(3) Ammianus Marcellinus: (1862). Res Gestae, 24.1.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثالث
السنة: الثانية
١٤٤٢هـ/٢٠٢١م

الرافدين[١]، وقد تحدث حول تراجع جيش جوليان في عام (٣٦٣) م:

(بعد دفن أولئك الرجال والضغط الشديد من العدو تحركنا حتى اقتربنا من حلول الليل، كنا نسير بوتيرة سريعة إلى قلعة تسمى سومير (Sumere) (سامراء)، تعرفنا على جثة انطالوس (Anatolius) ملقاة على الطريق، وكأنها رميت بسرعة على الأرض... في اليوم التالي أقمنا معسكرنا في أفضل مكان يمكننا العثور عليه، وهو سهل عريض في واد كان محاطاً كما لو كان جدار طبيعي، وكان فيه مخرج واحد فقط، وكان واسعاً، واقمنا حوله أوتاد ذات نهايات حادة مثل السيوف، ومع هذا هاجمنا العدو من خلف الشجيرات والقصب[٢] وبجميع أنواع الأسلحة مع الشتائم بلغتهم... ثم انطلقنا في الليلة التالية واستولينا على مكان يسمى الكرخ (Charcha)، هنا كنا في أمان؛ لأنه كانت هناك تلال من الطين، بناها الرجال بأيديهم لمنع المسلحين من شن الغارات المستمرة على بلاد آشور قديماً، ولم يضايق أحد خطوطنا كما حدث قبل ذلك، ومن هنا، بعد الانتهاء من مسيرة ثلاثين ستاديا (stadia)[٣]، وصلنا في الأول من تموز إلى مدينة تسمى دوراً (Dura)...) [٤].

ليس من السهل تحديد جميع أسماء المواقع الجغرافية المذكورة في النص اعلاه، فمن الواضح أن ثلاثة أسماء جغرافية رئيسية هي نفسها بقيت في وقت لاحق: سامراء (Sumere)، والكرخ (Charcha)، والدور (Dura)،

(١) كان الامبراطور جوليانوس أو جوليان أو يوليان في بداية حياته قيصراً على المقاطعات الغربية بأمر من قسطنطين الثاني (٣٥٥)م، ونتيجة لانتصاراته الساحقة في المعارك ضد الألمان والفرانكس حقق شهرة واسعة جعلته امبراطوراً رومانياً، وعرف عنه بأنه فيلسوف ومؤلف بارز في اليونانية، وكان أشد المؤيدين للهلينية الافلاطونية، وقد رفض الدين المسيحي وارتد سراً حوالي (٣٥١م)، وأصبح امبراطورا وحيدا في نهاية عام (٣٦١م)، فأعلن عن إيمانه الوثني وأمر بإعادة المعابد التي تم الاستيلاء عليها سابقاً بل شجع على الخلافات المذهبية لإضعاف المسيحية، ولهذا ذكرته الكنيسة المسيحية بلقب جوليان المرتد:
David S. Potter: (2016). P. 285-289.

(٢) ذكر المؤرخ اميانوس مرسيلينوس (غابة عالية) يغطيها الملح، وهذا الأمر غير محتمل في سامراء، ربما يعني شجيرات أو قصباً ينمو بكثرة في المنطقة السهلية للنهر.

(٣) يعادل ستاديا (stadia) الروماني (١٨٥ م)، أو (٦٠٦,٩) قدم.

(4) Ammianus Marcellinu: (1826). Res Gestae, xxv.6.4–9.

لذلك ظهور مواقع البلدة كان على مدى فترة طويلة، بدأت بالتأكيد قبل حفر القاطول(Qāṭūl)، كانت مواقع البلدة الأربعة التي سبقت قيام سامراء والتي أسسها الخليفة المعتصم من الشمال إلى الجنوب: الماحوزة (al-Māḥuza)، والكرخ (al-Karkh) أو الكرخ فيروز (Karkh Fayrūz)، المطيرة (al-Maṭira)، والقادسية (al-Qādi-siyya).

كانت معظم الحملات الرومانية على العراق منذ القرن الأول قبل الميلاد وحتى القرن الرابع تأخذ طريق نهر الفرات، ولذلك لدينا وصف للمدن والقلاع على الفرات، وهي مناطق يعرفها الرومان وأقاموا فيها حصوناً، مثل موقع كفرين (Kifrin)، وجزيرة بيجان (Izan nesopolis) (Begān) [١]، أما سامراء أو سومير فلم تكن ضمن حساباتهم العسكرية.

المبحث الثاني

أولاً: شخصية الامبراطور جوليان

كان الامبراطور جوليان (المرتد) ذا طبيعة معقدة، وآخر حاكم غير مسيحي في الإمبراطورية الرومانية، حاول إحياء الدين والتقاليد الوثنية على حساب الديانة المسيحية فشيّد معبداً للإله جوبيتر في القدس، وقد تمنى جوليان أن يحقق هزيمة بلاد فارس بشكل قاطع من خلال إشراك قوات الإمبراطورية في حرب هجومية من شأنها تسهيل المصالحة الوطنية حول الآلهة الوثنية، لكن جيشه كان ضعيفاً – ربما أفسدته أعداد كبيرة من المسيحيين المعادين له، كما أن الجيش الروماني الشرقي على الرغم من عدده الضخم لكنّ ولاءهم للإمبراطور مشكوك فيه، وكان جوليان بحاجة إلى أن يقود حملة تحقق له النصر، وليس هناك فرصة أفضل من قتال الساسانيين، وهكذا بدأت الحملة العسكرية بقيادته ضد الدولة الساسانية التي كانت تحكم العراق آنذاك في آذار من عام (٣٦٣) ميلادي[٢] (شكل ١).

ثانياً: مسيرة الحملة نحو العراق

غادر جوليان مدينة القسطنطينية (إسطنبول حاليا) إلى انتوشيا (Antio-chenes) (انطاكية الحالية)، وأقام فيها تسعة أشهر قبل أن يشن حملته المشؤومة ضد بلاد فارس في آذار (٣٦٣)م،

(١) الصالحي، روما على الفرات، ص٤٧-٥٤.

(2) Glen Warren Bowersock: (1978). p. 95.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثالث
السنة: الثانية
١٤٤٢هـ/٢٠٢١م

شكل ١: يظهر في وجه العملة الامبراطور جوليان الملتحي واسمه باللغة اللاتينية، أما ظهر العملة فقد صور جندي روماني مسلح يمسك أسيراً باليد الأخرى، وهي إشارة للقوة العسكرية للإمبراطورية الرومانية (من مقتنيات forvm ancient coins)

واكتشف أن التجار الأغنياء كانوا يسببون مشاكل نقص في المواد الغذائية، وعلى الرغم من جمال مدينة انتوشيا لكن الفقر كان متفشياً فيها بشكل كبير[١].

تم وضع خطة جريئة تتمحور في حصار العاصمة طيسفون الساسانية (المدائن حالياً وسابقاً سلمان باك نسبة إلى الصحابي الجليل سلمان الفارسي المدفون فيها)، وتأمين الحدود الشرقية بشكل تام، لكن الدافع الأساسي لهذه العملية العسكرية الطموحة غير واضح، وبالتالي غير ضرورية لهذا الغزو، فقد أرسل الساسانيون مبعوثين على أمل تسوية الأمور سلمياً[٢]، لكن الامبراطور جوليان رفض عرض السلام، ويعلّق المؤرخ اميانوس مرسيلينوس: (إن الامبراطور كان راغباً في الانتقام من الفرس، وإن رغبته في القتال والمجد لعبت دوراً في قراره بالذهاب إلى الحرب)[٣]، وهكذا سعى للحصول على النصر حتى يرتفع شأنه في عيون الجيش الروماني، وأيضاً من أجل تحقيق رغبته في القتال والمجد.

غادر الامبراطور جوليان مدينة انتوشيا (انطاكيا) في ٥ اذار عام (٣٦٣) م يرافقه (٦٥٠٠٠ إلى ٨٣٠٠٠) مقاتل أو (٨٠،٠٠٠ ـ ٩٠،٠٠٠) مقاتل وأسطول من السفن بلغ (١٠٠٠) سفينة من أجل

(١) شرع الامبراطور جوليان قانوناً حدّد فيه أسعار الحبوب وأجبر التجار الأغنياء على البيع، كما استورد الحبوب من مصر لسد النقص:
Glen Warren Bowersock: (1978). p. 96.

(2) Libanius, Oration 12, 76–77, translated in Lieu and Montserrat, 1996.

(3) Ammianus Marcellinus: (1826). Res Gestae. 22.12.1–2.

التجهيزات لجيشه خلال المسيرة عبر نهر الفرات و (٥٠) سفينة عائمة لتسهيل عبور الفرات[١]، وهكذا اتجه شمالاً نحو الفرات، وخلال مسيرته التقى بحكام الممالك الصغيرة لتقديم الطاعة والمساعدة بما فيهم ملك أرمينيا ارشاك الثاني(Arsaces) المسيحي الذي جمع قواته في انتظار التعليمات، ثم عبر جوليان نهر الفرات بالقرب من مدينة منبج (Manbij) في سوريا متجهاً نحو مدينة كارهي (Carrhae) (وهي مدينة حران حالياً ضمن الأراضي التركية)[٢]، وأرسل (٣٠،٠٠٠) مقاتل ومعهم القوات الأرمنية باتجاه شمال العراق[٣] بينما سار تحت قيادته (٦٠،٠٠٠) مقاتل نحو مدينة دورا-يوروبوس (Dura-Europos)[٤] ومنها اتجه نحو مدينة بيرسابورا (Pirisabora) (الأنبار)[٥]، وسار جنوباً حتى يلتقي مع الجيش الأرمني ومن معه بالقرب من طيسفون[٦] (خريطة ٢).

حاول شاهبور الثاني (Shapur) الاتفاق مع جوليان وإبعاد شبح الحرب ولكن دون جدوى، فمن المحتمل أراد جوليان تغيير النظام بعزل شاهبور الثاني وتعيين اخية هرميسداس (Hormisdas) بدلا عنه في حكم الدولة الساسانية[٧].

لم يتوصل كلا الطرفين إلى مشروع للسلام وتجنب الحرب، لذلك اتبع الساسانيون خطة (الأرض المحروقة) فكسروا السدود وتحولت الأرض إلى مستنقعات أرهقت الجنود والفرسان الرومان خلال مسيرتهم، ومع هذا في منتصف شهر مايس وصل الجيش

(1) Glen Warren Bowersock: (1978). p. 108.

(٢) الصالحي، روما على الفرات، ص٣٦ .

(٣) لم يلتق الجيش الروماني بالقوات التي أرسلت إلى شمال العراق، فقد أثبت الملك ارشاك الثاني خيانته عندما عاد بجنوده إلى أرمينيا: Glen Warren Bowersock: (1978). p. 110.

(٤) هناك مدن رومانية لها دور مهم من الناحية العسكرية والتجارية مثل مدينة دورا-يوروبوس (Duru-Europus) التي حصنها الرومان واتخذت كمخفر عسكري أمامي، وتقع على الفرات للمزيد ينظر: الصالحي، روما على الفرات، ص٤٥.

(٥) وقد استولى عليها ودمرها الإمبراطور الروماني جوليان عام (٣٦٣) ميلادية. للمزيد ينظر: الصالحي، روما على الفرات، ص٣٤ .

(6) Samuel N. Lieu and Michael H. Dodgeon: (1994). p. 203.

(7) Libanius, Oration 1402.2, translated in Lieu and Montserrat, 1996

مجلة تراث سامراء
العدد: الثالث
السنة: الثانية
١٤٤٢هـ/٢٠٢١م

الروماني إلى مشارف العاصمة طيسفون (المدائن) العاصفة الفارسية المحصنة[١]، وحقق الرومان بعض الانتصارات على الجيش الساساني عند أبواب المدينة، وحاولوا الاستيلاء على المدينة، ومع ذلك لم يتم الاستيلاء عليها، وكان الجيش الفارسي الرئيس لا يزال طليقاً ولم يشارك في الدفاع عن العاصمة[٢] (شكل ٢).

بعد الفشل في احتلال طيسفون (المدائن) قرر مجلس الحرب برئاسة الامبراطور عدم فرض الحصار على المدينة؛ نظرا لقوة تحصيناتها، وأيضاً وصول أخبار بتقدم جيش كبير يقوده شاهبور الثاني الملك الساساني، ولسوء تصرف جوليان ارتكب خطأ استراتيجياً عسكرياً، فقد ترك حصار المدائن واندفع شرقاً باتجاه بلاد فارس، كما ارتكب خطأ آخر بتدمير الاسطول الذي كان ينقل الامدادات، مما أفقد الجيش الروماني وسيلة للتراجع، بينما بدأ الفرس في شن غارات متتالية على مؤخرة الجيش الروماني، كما أحرقت المزارع ومخازن الحبوب في طريق الرومان، لذلك لم يكن هناك ما يمكن أن يفعله

(1) Ammianus Marcellinus: (1826). Res Gestae, 24.3.10–11.

(2) James Felix Jones: (1857). P. 14-15.

شكل ٢: لوحة تمثل الامبراطور جوليان أمام أبواب طيسفون (اللوحة تعود إلى العصور الوسطى (من IX)
century book with orations of Gregory the Great

الامبراطور جوليان عندما وجد أن الفرس غمروا بالمياه المنطقة خلفه، هذا الوضع الصعب أجبره على الانسحاب خاصة مع بروز مشاكل في الإمدادات لجنوده الذين أرهقهم نقص الطعام وحرارة الصيف، وعكس ما كان يأمل بأن المناطق في بلاد الرافدين الخصبة ستوفر لجيشه الطعام الوفير من المواد الغذائية والأعلاف[٣]،

(3) Ammianus Marcellinus: (1826), Res

خريطة ٢: سير الحملة الرومانية وحتى معركة سامراء (تعريب المؤلف)

Benjamin James Rogaczewski: (2014). p. 140

ولهذا اضطر إلى التراجع شمالاً، وقد تعرضت قواته إلى خسائر نتيجة للهجمات من قبل القوات الفارسية [١].

ثالثاً: معركة سامراء

قرر مجلس الحرب الثاني في ١٦ حزيران (٣٦٣) الانسحاب، وأن أفضل طريق لسحب القوات وبسلام إلى الحدود الرومانية بالسير شمالاً مع مجرى نهر دجلة إلى بحيرة فان (Van) (في تركيا الحالية حيث مملكة أرمينيا)، وهكذا انطلقت الحشود الرومانية حتى وصلت سامراء وهي في حالة يرثى لها؛ لكثرة الهجمات التي تتعرض لها باستمرار من قبل القوات الساسانية [٢].

بعد ثلاثة أيام هادئة، تعرض الجيش الروماني لكمين خلال تقدمه الحذر في تشكيلات مربعة عبر منطقة منحدرة جنوب مدينة سامراء[٣]، بدأت المعركة كمناوشة فارسية، وفي إحدى الاشتباكات في ٢٦ حزيران (٣٦٣) ميلادي جرت معركة غير حاسمة بالقرب من منطقة مارانجا (Maranga)، فقد داهم الجيش الساساني مقر إقامة الامبراطور، وقتل

(1) David S. Potter: (2016). P. 287–290.

Gestae, 24.8.5.

(2) Ammianus Marcellinus: (1826), Res Gestae, 24.8.1–5.

(3) Robert Browning: (2004). p.196.

مجموعة كبيرة من الفرسان والفيلة في وسط الجناح الأيسر للجيش الروماني[١]، وبسرعة سارع جوليان إلى حشد قواته وملاحقة العدو الساساني دون أن يأخذ حذره، فأخذ سيفه فقط ولم يكن يرتدي في وقتها الدرع بسبب حرارة الجو[٢]، واستمر القتال بشكل غير حاسم حتى حل ظلام الليل وتوقف القتال، وكانت الخسائر كبيرة في الجناح الأيسر للجيش الروماني، بالمقابل، وفي أماكن أخر تم هزيمة الفرس وتكبدوا خسائر في أفيالهم وقوات الفرسان الضخمة كما قتل جنرالاتهم من النبلاء الساسانيين[٣]، وتم نقل الامبراطور جوليان الجريح من على حصانه، فقد أصيب بضربة رمح اخترقت كبده والأمعاء، ولم يكن الجرح مميتاً على الفور، فسكب النبيذ على الجرح وتم خياطة الأمعاء المتضررة ولكن حدث نزيف في اليوم الثالث أدى إلى وفاة الامبراطور جوليان أثناء الليل، وهو يقول كلماته الأخيرة: (لقد انتصرت يا جليلي) (يقصد جليلي نسبة إلى مدينة الجليل حيث ولد السيد المسيح بمعنى انتصر الدين المسيحي على الدين الوثني)[٤] (شكل ٣).

بعد وفاة جوليان بقيت جحافل الرومان محاصرة في سامراء في مخيم نصب بواد منعزل، وبقيت القوات الساسانية تغير على معسكر الرومان، وفي اليوم ٤ من شهر تموز (٣٦٣) ميلادي انتقل الجيش الروماني إلى موقع الدور (Dura) (حالياً مدينة الدور)، وكان الجنود الرومان يعانون من الجوع وحرارة الصيف، فأقام الجيش الروماني عند تل العليج (El Alij) منصة خشبية عالية، فلابد من حرق جثث الجنود

(1) Edward Gibbon: (1932). p. 827.

(2) Ammianus Marcellinus: (1826), Res Gestae, 25.3.3.

(3) Edward Gibbon: (1932). p. 828.

(٤) صرح المؤرخ ليبانيوس (Libanius) ان الامبراطور جوليان اغتيل على يد مسيحي كان أحد جنوده، ثم أضاف بعد أربعة عشر عاماً ان القاتل مسيحي من العرب اللخميين سكان المناذرة (بنو لخم) وعاصمتهم الحيرة (Al-Hirah) (تقع أنقاضها على مسافة (٧) كيلومترات إلى الجنوب الشرقي من مدينتي النجف والكوفة)، وتمتع المناذرة بحكم ذاتي من (٣٠٠-٦٠٢) م، والمعروف ان سكان المناذرة من ذوي الديانة المسيحية، ويعتقد أن شكل الرمح الذي قتل الامبراطور جوليان كان يستخدم من قبل قوات الاحتياط من العرب اللخميين في خدمة الجيش الساساني:

Libanius, Oration 18.274, translated in Lieu and Montserrat, 1996 // David S. Potter: (2004). p. 518// Benjamin James Rogaczewski: (2014). p. 90.

مجلة تراث سامراء
العـــدد: الثالث
الســـنة: الثانية
١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م

شكل ٣: نقش بالنحت البارز في موقع طق بستان في إيران (Taq-e Bos-tan) يظهر الإله ميثرا (Mithra) في (اليسار) والإله اهورامزدا (Ahu-ra Mazda) (اليمين) والملك شاهبور الثاني (الوسط) يقفان على جثة الامبراطور جوليان المهزوم، ويقدم الإله اهورامزدا اكليل النصر للملك الساساني (منحوتات (Taq-e Bostan)

مجلة تراث سامراء
العدد: الثالث
السنة: الثانية
١٤٤٢هـ/٢٠٢١م

والقادة القتلى بما فيها جثة الامبراطور في غضون (٣٦) ساعة؛ لشدة حرارة الجو، واقترح تحنيط جثة جوليان، ولكن تحنيط الجثة يحتاج إلى مدة سبعين يوماً لإنجازه[١]، وحتى عملية نقل جثمان جوليان عبر دجلة ومنها إلى الفرات وصولاً إلى طرسوس (Tarsus) في سوريا يحتاج إلى فترة زمنية قرابة شهر، والمعروف أن شهري تموز وآب هما أكثر أشهر الصيف حرارة في العراق، هذا إضافة إلى فرض الحصار على القوات الرومانية في سامراء، وهي تفتقد إلى السفن لتنقلهم عبر دجلة، ومن جهة أخرى العدو الساساني كان نشطاً في شنّ هجمات متتالية عليهم[٢].

لذا تم اتخاذ القرار من قبل الامبراطور جوفيان (فلافيوس جوفيانوس) (Flavius Claudius Iovianus) (٣٦٣-٣٦٤) ميلادي الذي انتخب بعد وفاة جوليان، وكان جوفيان قائداً في الحرس الامبراطوري ومرافقاً للحملة على العراق وشارك في معركة سامراء[٣]، فأمر بحرق جثة الامبراطور في تل العليج بسامراء[٤]، فتم تأدية الطقوس التي شارك فيها الجيش الروماني، واستأنف القوات الرومانية على الفور بالتراجع على طول الضفة الشرقية لنهر دجلة تحت الهجمات المستمرة من الفرس، ولذلك ارتفعت أعداد الخسائر في الاشتباكات المتتالية في سامراء والمخيم في كارشي (Carche)، حيث ازداد نشاط القوات الساسانية بعد أنباء مقتل جوليان[٥]، وبعد أربعة أيام أخر توقف الجيش الروماني أخيراً في منطقة الدور (Dura)، حيث حاولوا بناء جسر لعبور دجلة، لكنهم فشلوا في ذلك، وكانوا محاطين من الجهات جميعاً بالجيش

(١) ذكر المؤرخ هيرودوتس في معرض حديثه عن تقاليد وعادات وطقوس المجتمع المصري القديم بأن تحنيط جثة الميت يتطلب إفراغ محتوى البطن والمخ ثم تنقع الجثة بالنترون (البورق) لمدة سبعين يوماً لسحب الماء من الجسم ومن بعدها تلف بأشرطة الكتان ثم يسلّمونها إلى أصحابها، للمزيد ينظر: هيرودوتس، من تقاليد وعادات وطقوس المجتمع المصري القديم كما أوردها المؤرخ اليوناني هيرودوت ٤٨٤-٤٢٥ ق.م، ص١٣٤-١٣٥.

(2) James Felix Jones: (1857). p.15.

(٣) امتنع جوليان عمداً عن تسمية خليفة، واجتمع القادة فجراً للانتخابات، وتم ترشيح القائد سالوتيوس (Salutius)، لكنه رفض، ثم استقر اختيارهم بشكل عفوي على جوفيان، وهو قائد في الحرس الامبراطوري:
Robert Browning: (2004). p. 243.

(4) John Curran: (1998). p. 78-110.

(5) Edward Gibbon: (1932). P. 831-832.

الساساني، ورأى جوفيان أن وضع القوات يائس بشكل غير متوقع[١].

رابعاً: المعاهدة والانسحاب

أرسل شاهبور الثاني مبعوثين إلى معسكر جوفيان حاملين عروض السلام[٢]، واستوعب جوفيان شروط الاستسلام المهينة بلهفة من أجل تخليص الجيش من حالته الأليمة وترك سامراء والعودة إلى روما، فاضطر لقبول شروط شاهبور الثاني لإنقاذ الجيش ونفسه من الدمار الكامل[٣]، ونصّت المعاهدة على:

١- إلغاء المكتسبات الأرضية التي حصل عليها الامبراطور دقلديانوس (Diocletian) (٢٨٤-٣٠٥) ميلادي من جد شاهبور الثاني، ويدعى نرسه (Narseh) (٢٩٣-٣٠٢) ميلادي[٤].

٢- التنازل عن مناطق شرق بلاد الرافدين، وهي خمسة مناطق فيما وراء دجلة: انتيليني (Intilene)، وزابديسين (Zabdicene) (تقع شمال اديابين في تركيا)، وأرزانين (Arzanene) (جنوب غرب أرمينيا)، وموكسين (Moxoene) (إقليم بحيرة ڤان (Van) شرق تركيا)، وكوردوين (Carduene) (جنوب بحيرة ڤان في شرق تركيا)، إضافة إلى خمسة عشر حصناً، بما في ذلك مدينتا نصيبين (Nisibis) (جنوب تركيا)، وسنجارا (Singara) (في شمال غرب العراق المعروفة باسم سنجار) الاستراتيجيتين وبدون سكانها[٥].

٣- إقامة هدنة تستمر ثلاثين سنة بين الإمبراطوريتين المتنافستين.

٤- السماح بانسحاب القوات الرومانية بأسلحتها من سامراء ونصب جسر في منطقة الدور[٦].

اعتبرت المعاهدة مهينة، لكنها من حيث الأهمية سمحت للقوات الرومانية بالانسحاب حاملة معها رماد جوليان إلى مدينة طرطوس في سوريا، حيث دفن هناك حسب وصيته قبل وفاته، كما

(1) Robert Browning: (2004). p. 216.

(2)Benjamin James Rogaczewski: (2014). p. 99.

(3) Edward Gibbon: (1932). p. 832.

(٤) الصالحي، صلاح رشيد، بلاد الرافدين دراسة في تاريخ وحضارة العراق القديم، ص٤٠٧.

(5) Ammianus Marcellinus: (1826), Res Gestae, 25.7.9.

(٦) باقر، طه، المصدر السابق، ص ١٦٩.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثالث
السنة: الثانية
١٤٤٢هـ/٢٠٢١م

ورد عند المؤرخ جيبون (Gibbon)[١]، وهكذا كانت الحملة الرومانية فاشلة راح ضحيتها الامبراطور جوليان (المرتد)، كما خسر الجيش الروماني الشيء الكثير من سمعته العسكرية [٢].

الاستنتاجات

تناول البحث حملة الامبراطور جوليان (٣٦٣) ميلادي ضد الدولة الساسانية وكانت مسرح الأحداث منطقة سامراء، وقد أثير سؤال يحمل نسبة كبيرة من الفضول فيما يتعلق بوفاة الإمبراطور جوليان المعروف عبر التاريخ باسم (المرتد)، فعلى الرغم من أن جوليان حكم لمدة تقل عن عامين، إلا أن حكمه وموته كان محور جدل لقرون عدة، فقد كتب المؤلفين القدماء حول مقتله في معركة سامراء وقدموا مختلف الروايات حول موت الإمبراطور الوثني، كما قدموا تفاصيل معينة في رواياتهم وأضافوا أجزاء ربما خيالية، ولكنهم اعتقدوا أنها ضرورية، وإنني أرى أن هذه الروايات المختلفة عن حصار القوات الرومانية وموت الامبراطور استخدمت كرواية أدبية لمناقشة نمو قوة الكنيسة والعلاقات بين الكنيسة والدولة، كما لاحظت في تحليل هذه الروايات التي كتبها غريغوري نازينزوس (Gregory Nazianzus)، وليبانيوس (Libanius)، أميانوس مارسيلينوس (Ammianus Marcellinus)، وحتى الكنيسة والمؤرخون في القرن الخامس الميلادي كل منهم لدية وجهة نظر في المعركة ونهاية المغامرة الفاشلة للإمبراطور جوليان.

لكن على المؤرخين أن يلتزموا بنظرة أكثر دقة في التاريخ الديني والسياسي في فترة أواخر العصور القديمة، وتحديداً بشأن التنصير في الإمبراطورية الرومانية، والعلاقات بين الإمبراطور والكنيسة، ولهذا ذكرت في البحث الحملة الرومانية وما لاقت من المصاعب التي نتجت عنها موت الامبراطور في سامراء، وما رافقها من حرق جثمانه في تل العليج ونقل رماده لدفنه في مدينة طرطوس حسب طلبه قبيل وفاته، كما وردت في كتب من القرنين الرابع والخامس الميلادي، مع ملاحظة أن ما ورد في تلك الكتب كانت ملونة من قبل السياسيين وتحمل اهتمامات دينية في تلك الفترة.

(1) Edward Gibbon: (1932). p. 837.

(2) Benjamin James Rogaczewski: (2014). P. 100-102.

المصادر والمراجع

أولاً: العربية

١) الأحمد، سامي سعيد و(آخرون)، الصراع خلال الألف الأول قبل الميلاد (٩٣٣-٣٣١) ق.م، الصراع العراقي الفارسي، بغداد، ١٩٨٣.

٢) الإربلي، عبد الرحمن، خلاصة الذهب المسبوك، بيروت، ١٨٨٥.

٣) الآلوسي، سالم، موجز دليل أثار سامراء، دار الجمهورية للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٦٥.

٤) بارو، اندري، سومر فنونها وحضارتها، ترجمة عيسى سلمان، بغداد، ١٩٧٩.

٥) باقر، طه، من تراثنا اللغوي القديم ما يسمى في العربية بالدخيل، بغداد، ١٩٨٠.

٦) حسن، سليم، مصر القديمة من العهد الفارسي إلى دخول الاسكندر الأكبر مصر، مطبعة الكوثر، د.ت، القاهرة، ج١٣.

٧) سعيد، مؤيد و(آخرون)، العراق خلال عصور الاحتلال (الاخميني، السلوقي، الفرثي، الساساني)، العراق في التاريخ، بغداد، ١٩٨٣.

٨) الصالحي، صلاح رشيد، بلاد الرافدين دراسة في تاريخ وحضارة العراق القديم، بغداد، ٢٠١٧، ج١.

٩) الصالحي، صلاح رشيد، بلاد الرافدين دراسة في تاريخ وحضارة العراق القديم، بغداد، ٢٠١٧، ج٢.

١٠) الصالحي، صلاح رشيد، روما على الفرات، مجلة جامعة الانبار للعلوم الإنسانية، عدد خاص بندوة التراث المعماري لمحافظة الأنبار ١٦-١٧ نيسان ٢٠١٢، الرمادي، ٢٠١٢.

١١) فرنسيس، بشير، علي، محمود، جامع أبي دلف في سامراء، سامراء في مجلة سومر، طبع دار الكفيل، كربلاء المقدسة، ٢٠١٦، ج١.

١٢) لويد، سيتون، آثار بلاد الرافدين، ترجمة سامي سعيد الأحمد، بغداد، ١٩٨٠.

١٣) هيرودوتس، من تقاليد وعادات وطقوس المجتمع المصري القديم كما أوردها المؤرخ اليوناني هيرودوت ٤٨٤-٤٢٥ ق.م، إعداد وترجمة مرتضى الشيخ حسين، مجلة آفاق عربية، العدد الثاني، السنة الرابعة عشرة، بغداد، ١٩٨٩.

6- Behnam Abu. l-Soof: " Tell al-Suwwan Excavations, 4th Season" Sumer 24, 1968.

7- Behnam Abu.l-Soof and Faisal el-Wailly: "The Excavations at Tell Es-Sawwan", First Preliminary Report., Sumer 21, 1965.

8- Benjamin James Rogaczewski: "Killing Julian: the Death of an Emperor and the Religious History of the Later Roman Empire" The University of Wisconsin-Milwaukee, 2014.

9- David S. Potter: "Rome in the Ancient World- from Romulus to Justinian" Thames and Hudson Ltd; 2 edition. 2016.

10- David S. Potter: "The Roman Empire at Bay, AD 180–395" The Routledge History of the Ancient World, 1st Edition. London. 2004.

11- Edward Gibbon: "The Decline and Fall of the Roman

ثانياً: الأجنبية:

1- Alastair Northedge: "The Historical Topography of Samarra" Samarra Studies I, British School of Archaeology in Iraq, 2008.

2- Alastair Northedgeand Robin Falkner: "The 1986 Survey Season at Samarra" Iraq 49, 1987.

3- Ammianus Marcellinus: "Roman History "trans. C. D. Yonge .London 1862.

4- Ashmolean Museum: "Proceedings of the Society of Antiquaries of London 2/32", Oxford. 1920.

5- Beckford, William: "-Vathek" The English Translation by Samuel Henley (1786), Editions of Lausanne and Paris, 1787, Facsimile ed., 3 vols. in 1, Scholars' Facsimiles and Reprints, 1927.

vian to Theodosius". In Cameron, Averil; Garnsey, Peter (eds.). The Cambridge Ancient History: The Late Empire, A.D. 337-425. XIII (2nd ed.). Cambridge University Press. 1998.

18- Julian Reade: "Studies in Assyrian Geography (suite)" Revue d'Assyriologie 72, 1978.

19- Kirk K. Grayson: "The Walters Art Gallery Sennacherib Inscription", Archiv für Orientforschung 20, 1963.

20- Libanius, Oration 12, 76–77, translated in Lieu and Montserrat, 1996.

21- Mark Blackham: "Further Investigations as to the Relationship of Samarran and Ubaid Ceramic Assemblages". Iraq 58: 1996.

22- Robert Browning: "The Emperor Julian" Oxford: Oxford University Press, 2004.

Empire", The Modern Library, New York. 1932.

12- Emilio O. Forrer: "Die Provinzeinteilung des assyrischen Reiches", Leipzig. 1920.

13- Ernst Emil Herzfeld: "Die Ausgrabungen von Samarra", 5 Vols, Berlin. 1923-1930.

14- Ernst Herzfeld: "Die Ausgrabungen von Samarra V", Die vorgeschichtliche Töpfereien von Samarra (Forschungen zur islamischen Kunst 2.5, Berlin. 1930.

15- Glen Warren Bowersock: "Julian the Apostate". London, 1978.

16- James Felix Jones: "Journal of a steam-trip to the north of Baghdad (April 1846)" Bombay: Printed for Govt. at Bombay Education Society's Press, Publication date. 1857.

17- John Curran:" From Jo-

مجلة تراث سامراء
العدد: الثالث
السنة: الثانية
١٤٤٢هـ/٢٠٢١م

23- Robert Francis Harper: ” Assyrian and Babylonian Letters belonging to the Kouyunjik” Collections of the British Museum, 1892–1914.

24- Robin Falkner: “forthcoming, Pottery from Samarra: the surface survey and excavations at Qadisiyya, 1983–1989

25- Samuel N. Lieu and Michael H. Dodgeon: “The Roman Eastern Frontier and the Persian Wars AD 226-363” A Documentary History, 1st Edition, Routledge, 1994.